سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 08، العدد 01 – 30 ماي 2018

Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :08 , N :01 – 30 May 2018

الخيال السوسيولوجي في بناء الإشكالية

The sociological imagination in the construction of the problematic

أوزقزو عبد القادر*

جامعة وهران 2محمد بن احمد/ الجزائر (abdelkader.ouzougzou@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2018/02/05 ؛ تاريخ القبول : 2018/05/25؛ تاريخ النشر: 30/05/ 2018

الملخص

الاشكالية هي المرحلة الثالثة من مراحل البحث السوسيولوجي والتي تلي مرحلة الاستكشاف، بحيث تعتبر أهم مرحلة وهي تأسيس نص نظري وطرح فكري ما تم قراءته يتم انتاجه من طرف الباحث، وهي التي تعكس عن قوة وذكاء الباحث وجودة البحث. كما تتوقف عملية بناء هذه الإشكالية على عدة طرق ومن أهمها هي اعتماد الباحث على طريقة الخيال السوسيولوجي التي ابتكرها العالم الأمريكي والإمبريقي رايت ميلز؛ وتعتبر هذه الطريقة مستوى معرفي جد متقدم من التحليل السوسيولوجي للثنائية (المجتمع والفرد) فهي الطريقة المثلى لفهم حياة الفرد من جهة وتطور المجتمع من جهة أخرى ولا يمكن فهم أحد منهما دون الآخر. فهذه العلاقة نجدها دائما عندما نقوم بتحليل سوسيولوجي موضوعي بحيث تسمح هذه الطريقة بالإبداع في فهم السلوك الاجتماعي. ومنه نطرح السؤال التالي : ماهي هذه الطريقة؟ وكيف ننميها؟ وما دورها في بناء الإشكالية؟.

الكلمات المفتاحية: الإشكالية، البحث السوسيولوجي، الخيال السوسيولوجي، رايت ميلز.

Abstract

The problematic is the third stage of sociological research, which follows the stage of exploration, as it is considered the most important stage, which is the establishment of a theoretical text and an intellectual proposal that has been read is produced by the researcher, which reflects the strength and intelligence of the researcher and the quality of research. The process of constructing this problem also depends on several methods, the most important of which is the researcher's reliance on the method of sociological imagination that was devised by the American scientist and empiricist Wright Mills; This method is considered a very advanced level of knowledge from the sociological analysis of the duality (society and the individual), as it is the best way to understand the life of the individual on the one hand and the development of society on the other hand, and one cannot be understood without the other. This relationship we always find when we do an objective sociological analysis so that this method allows creativity in understanding social behavior. Hence, we ask the following question: What is this method? How do we grow it? What is its role in building the problem?

Keywords: problematic, sociological research, sociological imagination, Wright Mills.

* **الباحث المُرسل**

1.مقدمة:

لقد عرف الانسان واكتسب العديد من المعارف حول ما يحيط به، إذ درسها ووضع لها قوانين وقواعد ضبطها في مختلف العصور إلى أن تطورت المناهج البحثية وأصبح يكون معارف علمية قائمة على أسس سليمة؛ ومن بين هذه المعارف نجد البحث السوسيولوجي الذي يعد أهم البحوث في العلوم الاجتماعية. ومن بين خطوات هذا البحث نجد الإشكالية وهي تمثل أهم خطوة ومرحلة بحثية التي تعكس جودة البحث وأهميته العلمية وأثره على الواقع الاجتماعي؛ وبذلك طبعا أن هذه الإشكالية يعتمد الباحث في بنائها على العديد من الأساليب والطرق التي جاء بها مختلف الأخصائيين في العلوم المنهجية، وبشكل أساسي يعتمد الباحث السوسيولوجي على أهم طريقة في دراسة حقله الميداني أو الواقع الاجتماعي أو الكشف عن الظروف المحيطة بالظاهرة المراد دراستها وذلك بتجنب الذاتية ومحاولة دراسة ظاهرة دراسة أكثر موضوعية؛ والخيال السوسيولوجي هي أكثر طريقة وأدق أسلوب لتحقيق هذا الأخير.

لذلك جاء هذا المقال يطرح هذه الخطوة (الاشكالية) والتي تعتبر محطة منهجية يتوقف عندها الباحث وذلك موضحا مختلف العلاقات التفسيرية والنقدية باعتمادها أساسا على أسلوب الخيال السوسيولوجي وهو أسلوب معرفي جد متقدم للتحليل السوسيولوجي كما تعود هذه الطريقة لابتكارها للعالم الاجتماعي الراديكالي رايت ميلز كما قد تبعه العالم أنتوني غيدنز وذلك بتناولها بطريقة مختلفة عن الأول. اذ سنوضح هذه الطريقة ونبين أهميتها في صياغة أو بناء الإشكالية بشكل التي تجعل من البحث السوسيولوجي أكثر فعالية وواقعية وموضوعية.

تحديد المفاهيم:

البحث السوسيولوجي:

البحث هو عبارة عن "نشاط انساني يأخذ صورة التقصي أو الفحص الدقيق بهدف التوصل إلى حقائق أو قواعد عامة مثل الفروض، أو إلى تحقيق غايات أو أهداف (مثل حل المشكلات) وهو نشاط قد يتم عن وعي وقصد، مثل التجارب العلمية أو عن غير وعي وقصد مثل (الملاحظات العابرة التي يجريها الباحثون وتؤدي إلى اكتشاف علمي." وهو كذلك عبارة عن "جملة العمليات الاستفهامية، الافتراضية، التوقعية، الاستقصائية، التبويبية، التحليلية والتأويلية التي يكون موضوعها معطيات ملموسة ذات علاقة بإشكالية علمية محددة بحيث يتيسر تقديم إجابة تفسيرية تأويلية ما على أسئلة الإشكالية كلها، أو بعضها."

وهو: "الطريقة العلمية المنظمة التي تستخدم الدراسة الواقع الاجتماعي بغية التوصل إلى حقائق جديدة يمكن استخدامها والاستفادة منها علميا وعمليا، وهو أيضا منهاج لاكتشاف المعارف الاجتماعية الجديدة التي يمكن توصيلها والتحقيق من صدقها مستقبلا."

وهو كذلك "مجموع العمليات المتميزة والمتتابعة والمتداخلة التي يقوم بها دارس أو أكثر في علم من العلوم بهدف جمع معلومات بشكل نظامي تنير ظاهرة ما قابلة للملاحظة بهدف شرحها وفهمها إنه محاولة لاكتشاف المعرفة، والتنقيب عنها، وتنميتها، وفحصها، وتحقيقها بتقص دقيق، ونقد عميق، ثم عرضها عرضا مكتملا بذكاء وإدراك لكي تضاف إلى الانتاج الحضاري الانساني."

تعتبر النظريات والملاحظات أحد العناصر والأركان الأساسية للبحث السوسيولوجي بحيث على مستويين وهما: المستوى النظري (theoretical level) والمستوى التجريبي (empirical level)؛ فالمستوى النظري يهتم بتطوير مفاهيم مجردة حول الظاهرة الاجتماعية وفهم وتفسير تلك العلاقات التي تربط هذه المفاهيم، أما المستوى التجريبي يقوم باختبار المفاهيم النظرية والعلاقات لرؤية كيف تتوافق وتتطابق ملاحظاتنا للواقع وهنا تدخل تلك المقاربة النظرية.

الإشكالية:

هي "وضع البداهة والعفوية والاعتيادية والانسيابية التي يبدو عليها حال العالم الاجتماعي موضع تشكيك واستفهام. وتتم الأشكلة بتفريغ السؤال الأصل إلى أسئلة ذات علاقة بحيث يدقق الاستفهام عن الفاعل وعن الفعل وعن سياقه الزماني واطاره المكاني وعن طريقة ممارسته أو نمطه وعن دوافعه وغاياته. وعادة ما يتم تلخيص ذلك على الصيغة التالية: من يفعل، ماذا، أين، متى، كيف وتحت أثر أي دافع ومن أجل أية غاية؟."

وهي أن يطرح الباحث "أسئلة تتعلق بالكلمات المحورية والعبارات والمفاهيم الأساسية التي تحظر على الذهن عند التفكير في الموضوع قيد البحث... وتبدأ تنشط لدى الباحث العمليات الإبداعية ...بعد أن يكون قد وضع قوائم بمثل تلك الكلمات والعبارات والمفاهيم، وأجرى عليها التغييرات والتعديلات اللازمة. ومن الممكن أن يقودنا وضع الأفكار والمصطلحات بعضها بجوار بعض كيفما اتفق إلى خطوط مفيدة من التصدي أو البحث، بل حتى يقودنا إلى تفسيرات محتملة وخطوط تفسيرية مستقلة تمام الاستقلال عن نتائج البحوث السابقة أو البيانات الجديدة، أو النظريات القائمة (الراسخة) المرتبطة بالمجال موضوع البحث. أن الانخراط في ممارسة مثل هذه التجربة الخيالية التي تتضمن تنميط واعادة ترتيب الأفكار والمفاهيم من شأنه أن يقي الباحث من أن يغرق نفسه تماما في الحكمة الراهنة في مجال أو موضوع بحث."

يتم تحديد الاشكالية بالصورة والشكل الواضح والدقيق وذلك استدلالا على نوعية العلاقات بين مسببات وعوامل الظاهرة المدروسة، وبشكل عام الاشكالية هي عبارة عن طرح فكري يتم بنائه من طرف الباحث وذلك بغية للإجابة عن الأسئلة التي تدور حول المشكلة أو الظاهرة الاجتماعية؛ وهي تعد المحور الرئيسي لبناء إطار نظري متماسك وقوي وتمثل مرحلة انتقالية إلى مرحلة أخرى من البحث السوسيولوجي.

أولا/ رايت ميلز MILLS C. Wright:

1-تعريف رايت ميلز

رايت ميلز هو من مواليد شهر أوت سنة 1916م بمدينة واكو (Wako) في تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعتبر من أهم علماء الإجتماع بأمريكا حيث ارتبطت جهوده بدراسة الماركسية والفيبرية وبمختلف القضايا ذات صلة بالطبقة المثقفة وبدورهم نحو الحياة الثقافية الحديثة. وهو مفكر وعالم اجتماعي راديكالي ينحدر من أبوين ينتمين للطبقة المتوسطة من ذوي أصول إنجليزية إيرلندية وينتمي للاتجاه الإمبريقي.

التحق رايت ميلز بكلية تكساس الزراعية والميكانيكية مابين سنة 1934م و1935م بعد اتمامه للمدرسة الثانوية؛ وبعد أربع سنوات التحق بجامعة تكساس بأوسين حيث تحصل فيها على درجتي البكالوريوس والماجستير في علم الاجتماع معا سنة 1939م؛ ثم ترشح في برنامج الدكتوراه في علم الاجتماع بجامعة ويسكونسن في ماديسون، وتم قبوله بأطروحة والتي حملت عنوان: رصد سوسيولوجي للبراغماتية دراسة حول علم الاجتماع المعرفة وحصل على هذه الدرجة في سبتمبر سنة 1942م.

وقد عمل كأستاذ لعلم الاجتماع بجامعة كولومبيا فقد برز اهتمامه مع ظهور مجموعة من العلماء البارزين في زمنه ومنهم هانز جيرث Hans Gerth في فحصه للماركسية والتقليد الفيبري ومواقفهم من المشكلة الاقتصادية وبخاصة الحتمية الاقتصادية، وأيضا مشكلات الطبقة التي أضاف إليها رايت يلز أحد المفاهيم أو المقولات الهامة في فهم الطبقة وتحليل علاقاتها الداخلية والخارجية بمفهوم المركز أو المكانة Status؛ وهي اهتمامات تدخل ضمن النطاق الأوسع الذي يعبر عنه موضوع التغير الاجتماعي وما يثيره من مشكلات وخاصة بما يتعلق بتكامل المجتمع.

وتوفي في نيويورك سنة 1962م.

2-مؤلفاته:

- الشخصية والبناء الاجتماعي Character and social structure سنة 1953م. حيث هذا المؤلف اعتبر من بين أسس علم الاجتماع النظري المعاصر؛ و برز فيه مفهوم الدور باعتباره مفهوم محوري يوحد بين النظرية الاجتماعية والنظرية السيكولوجية باعتبار أن البناء يتكون من العديد من الأدوار التي ترتبط بالأنساق وبالنظم المختلفة (تحليل الأدوار) وهذا مما سهل تحليل البناء؛ إذ توصل إلى استنتاج بأن كلما كانت الأدوار متسقة كان تكامل البناء أعمق وأوضح.
- الخيال الاجتماعي the Sociological Imagination سنة 1959م. في هذا المؤلف ناقش رايت ميلز بعمق فيما يخص بالنزعة الانسانية والتي اعتبرها أنها كامنة وراء علم الاجتماع، مما مثلها بأنها رؤية اجتماعية إلى العالم ودعى إلى ضرورة أن علم الاجتماع ذي نزعة انسانية أي أنه كان انتقادا للنزعة الإمبريقية والنظريات الكبرى معا.
- الياقات البيضاء White Collar سنة 1951م. ضمن في هذا الكتاب تحليل للطبقة الوسطى الأمريكية.
- صفوة القوة The Power Elite سنة 1956م. تناول فيه مجموعة من الصفوات ذات المصالح الثابتة المترابطة والتي تحكم أمريكا.
- أسباب الحرب العالمية الثالثة The Cause of World War 3 سنة 1958م.
- الماركسي The Marxit سنة 1962م. فقد وضح فيه عدم ارتياحه للاستخدام الإيديولوجي الذي يتمسك به الدارسون في ضوء انتقادات فيبر معبرا عن وجهة نظريه الأخلاقية التي اتمثل في توظيف المعرفة لخلق المجتمع الطيب السليم.
- اللغة والمنطق والثقافة سنة 1939م. استكمل ميلز فيه البناء فوق نظرية ميد عن الذات وفوق أفكار كارل مانهايم لعلم الاجتماع المعرفة لتطوير فهم أكثر نضالية وتوجيها للاتصال الاجتماعي مع اضافات لأفكار ميد.
- The New Men Of Power America's Labor Leaders سنة 1948م. والذي درس فيه النقابات والقيادات النقابية في الولايات المتحدة قبل الحرب الباردة.
- Listen Yankee : The cuban Case against the United States سنة 1960م.
- Power, politics and people سنة 1963.

3-الخيال السوسيولوجي عند رايت ميلز: يعتبر ميلز الخيال السوسيولوجي أحد الأدوات والطرق النظرية والتحليلية التي تشكل موقف نظري منهجي يحدد اتجاه الايديولوجي للباحث ودرجة إلتزامه

بالأهداف المرجوة من عالم الاجتماع. وهي طريقة نقدية سوسيولوجية واجتماعية؛ حيث يتمثل هذا النقد في أساليب السيطرة والتحكم التي تمس كل عنصر من عناصر البناء الاجتماعي.

وتقوم طريقة الخيال السوسيولوجي حسب رأيه على الربط بين مستويين من مستويات التحليل وهما: مستوى المجتمع أو البناء الاجتماعي ومستوى الفرد؛ وذلك اعتماده على مبدأ أساسي مفاده أن حياة الفرد أو تاريخ المجتمع لا يمكن فهم أي منهما دون فهم الآخر والعلاقة التي تربط بينهما، فإذا كان الباحث لا يملك قدرة فهم العلاقة بين الفرد والمجتمع؛ أو بين تاريخ الفرد وتاريخ مجتمعه؛ أو بين الذات والعالم الخارجي عليه أن يكون مجموعة من المهارات العقلية التي تمكنه من تشكيل فكرة التي تعكس ما يجري حوله وما سوف يحدث له تأثرا بهذا العالم؛ وهذه المهارة العقلية أعطى لها تسمية الخيال السوسيولوجي، واعتبرها قدرة لا تقتصر على الباحثين في علم الاجتماع فقط بل تشمل مختلف الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية وحتى عامة الناس.

وهذه الطريقة تمكن للباحث من توسيع فهمه حول الحياة الداخلية والعمل الخارجي للأفراد، وتسمح له أن يفسر كيفية انشاء وعيا مزيفا للأفراد بأوضاعهم الاجتماعية في ظل حياتهم اليومية التي تتسم بالإضطراب.

ومن جهة أخرى يستطيع من خلال هذه الطريقة أن يكشف مظاهر القلق الشخصي والذي يرجع إلى مجموعة من الاضطرابات والهموم الفردية (personal trouble)؛ وأن يربط بين اللامبالاة التي تعيشها الجماهير وبين المشاكل العامة.

إذن نتوصل أن طريقة الخيال السوسيولوجي تقوم على مستويين أساسيين لهذا التحليل وهما:

1- المستوى الأول يتمثل في مستوى الفرد: فالفرد يعاني من مجموعة من الاضطرابات التي تفرضها عليه حياته في مجتمع مستغل.

2- المستوى الثاني يتمثل في مستوى المجتمع أو البناء الاجتماعي: فهذا البناء أو المجتمع تسوده مشاكل عامة Public issues، لذلك على الباحث أن تكون له القدرة أن يكتشف علاقة بين مظاهر الاضطراب الشخصي وبين مشاكل البناء الاجتماعي أو المجتمع؛ وهذا هو الهدف الرئيسي لطريقة الخيال السوسيولوجي؛ وبعبارة أخرى تكسب هذه الطريقة للباحث وعيا حقيقيا بمشكلات مجتمعه تجعل منه أن يكون قادرا على الربط بين المشكلات الخاصة بمشكلات المجتمع ككل.

4-المشكلات الخاصة والمشكلات العامة عند رايت ميلز: تتمثل المشكلة الخاصة عند رايت عند شعور الفرد بأن مجموعة من قيم التي يبناها مهددة بالاندثار والأفول فإنه سيشعر بالاضطراب، أما المشكلات العامة تتمثل عنده عندما تشعر الجماهير ككل بأن قيمها مهددة فهنا تصبح مشكلة عامة

بحيث قد تتضمن أزمة في المستوى النظامي، أو تتضمن ما أطلق عليه الماركسيون التناقضات أو مظاهر العداوة. إذ يذهب رايت ميلز إلى اعتبار أن أهم المشكلات الخاصة لهذا العصر هي مشكلات القلق uneasiness واللامبالاة indifference؛ أما المشكلات العامة ترتبط بالقوى غير الحقيقية التي تتحكم في هذا المجتمع وما يصاحب هذه القوى من طرق انتاج تذكى الاغتراب وما يلازمها من أساليب للسيطرة السياسية والفوضى النظامية.

5-أهم النقاط المتعلقة بحرفية البحث السوسيولوجي وأسلوب الخيال السوسيولوجي في علم الاجتماع عند رايت ميلز:

1-نظرته لعلم الاجتماع على أنها رؤية برغماتية أي أن الأفكار والنظريات ليس لها قيمة في ذاتها لأن ما يحدد قيمتها حسب رأيه مردوديتها في الواقع.

2-دعوته إلى ضرورة أن اعتبار المشكلات تناول بالنضرة الشاملة في الدراسة السوسيولوجية بحيث يركز الباحث في هاته الدراسة على المستويات الثلاث وهي الإنسان والمجتمع والتاريخ.

3- أزمة علم الاجتماع الغربي في رأيه جاءت نتيجة للتصورات الخاطئة للعلم نفسه، وبذلك اعتبار المفهوم السوسيولوجي لابد أن يحقق مصداقية إمبريقية.

4- عيبه على معظم الباحثين المتبنين الفكر الماركسي لذلك أكد على التفريق بين الفهم والمعرفة للرفض والمقاومة؛ وبين الرفض والمقاومة دون فهم ووعي.

5- في محاولته الربط بين نقد مجتمع أمريكي ونقد علم الاجتماع فيه، وهي نقطة كثيرا ما تغيب عمن يصنفون أنفسهم ضمن حركة النقد في علم الاجتماع. وضح ميلز قضية اغتراب الانسان الأمريكي وتزييف وعيه، وبالتالي طبعه باللامبالاة والقصور فيما يتعلق بالتغيير، وحاول ربط هذا الواقع بجانب عوامل أخرى بالطبع بالإيحاء للإنسان بأن مشكلته ليست مشكلة اجتماعية بنائية وإنما نفسية شخصية.

6- دعى إلى ضرورة أن الباحث في علم الاجتماع أن يكتسب بما سماه الخيال السوسيولوجي وذلك بغية إدراكه أبعاد مشكلات المجتمع من جهة وأن يمنحه جملة من الادراكات حول الفرد بأنه جزء من البناء الاجتماعي؛ وأن البناء الاجتماعي جزء ومرحلة من مراحل التاريخ إلى أن يكتشف سياق المشكلات وهذا السياق يكون بنائي وليس فردي أو شخصي ذاتي.

وهناك نقطة مهمة يجدر بنا الأخذ بها بعين الاعتبار إذ يعبر هذا بقوله: "يمكّن الخيال السوسيولوجي مالكه من فهم المشهد التاريخي الأكبر بالاستناد إلى معناه فيما يتعلق بالحياة الداخلية

والسيرة الخارجية لمجموعة متنوعة من الأفراد. إنه يمكنه أن يأخذ بالحسبان كيف أن الأفراد، في تقلب خبرتهم اليومية واضطراباها، غالبا ما يصبحون واعين بشكل زائف لمواقعهم الاجتماعية...وبهذا المعنى فإن المتاعب الشخصية للأفراد ترتكز على مشكلات واضحة. واللامبالاة التي يبديها الجماهير تحول انهماك في القضايا العامة."

ومنه الخيال السوسيولوجي يتيح لنا إدراك "أن الكثير من الأحداث والظواهر والسلوكات الاجتماعية إنما تعكس قضايا أوسع، أهم، أعقد بكثير."

ثانيا/الخيال السوسيولوجي عند أنتوني غيدنز:

1-مفهوم الخيال السوسيولوجي عند أنتوني غيدنز: يعرف أنتوني غيدنز الخيال السوسيولوجي بأنه: "بعض أشكال الحساسية المرتبطة ببعضها البعض، والتي لا غنى عنها للتحليل السوسيولوجي كما أفهمه هنا. فلا يمكن التوصل إلى فهم للعالم الاجتماعي الذي أشعلت شرارته المجتمعات الصناعية المعاصرة (أي المجتمعات المعاصرة بالصورة التي تبلورت بها في الغرب لأول مرة) إلا من خلال ممارسة الخيال على ثلاثة أصعدة في نفس الوقت. وتتضمن أشكال الخيال السوسيولوجي الحساسية التاريخية، والأنثروبولوجية، والنقدية."

وقد اعتبر أنتوني مهمة الخيال السوسيولوجي الذي يمارسه الباحث في تحليله للمجتمعات الصناعية المعاصرة تتوقف على "استعادة ماضينا القريب، العالم الذي فقدناه. فبفضل هذا الجهد وحده المنطلق من الخيال، والذي يقوم بطبيعة الحال على وعي بالتاريخ، نستطيع أن نفهم كيف تختلف معيشة أبناء المجتمعات الصناعية اليوم عن الأسلوب الذي كان يحيا به الناس في الماضي القريب نسبيا. وهنا يمكن أن تساعدنا كثيرا الحقائق البسيطة المجردة، كتلك الأرقام والتواريخ التي أوردناها من قبل بصدد حديثنا عن النمو الحضري. ولكن الشيء المطلوب فعلا هو محاولة الاستعادة التصورية (الخيالية) لنسيج أشكال الحياة الاجتماعية التي اندثرت اليوم إلى حد بعيد."

اذ يجمع غيدنز بين عالم الاجتماع والمؤرخ فيما يخص دورهما وهو بذلك يعطي مثالا حول أوضاع مجتمع بريطانيا في القرن 18 بحيث يعتبره أول مجتمع شهد أثار الثورة الصناعية بالرغم من أنه كان خاضعا لعادات المجتمع المحلي وتماسك وحداته نتيجة تأثره المكثف بالدين؛ وهناك صور الاستمرار التي تتمثل في ترابط المجتمع بالمجتمع البريطاني في القرن 20.

2-أبعاد الخيال السوسيولوجي

يتمثل البعد الأول للخيال السوسيولوجي على أن يقوم الباحث في علم الاجتماع على تطوير الحساسية التاريخية (أي احساسه بالبعد التاريخي).

أما البعد الثاني يتمثل في أن وعي الباحث يصبغ بالنظرة الأنثروبولوجية فهذا يؤكد على الطبيعة الواهنة للحدود المعترف بها تقليديا في العلوم الاجتماعية. فالبعد الأنثروبولوجي للخيال السوسيولوجي حسب غيدنز هو مهم باعتباره أن يمكن الباحث في فهم تنوع أنماط الوجود الانساني المعروفة على هذه الأرض. وقد ارتكز على أن الباحث في مجال الأنثروبولوجيا المعاصرة نجده مؤرخ للكوارث البشرية أو مؤرخ للثقافات التي تم اتلافها بطريقة التدمير العسكري او الاستعماري، أو الانتشار فيها الأمراض التي جاءت احتكاكا بالغرب؛ أو تلك التي عانت من التفكك في عاداتها الاجتماعية الكلاسيكية.

وهكذا فاذا جمع بين البعد الأول والبعد الثاني للخيال السوسيولوجي فقد نتحرر من القيود الصارمة التي تضعنا في تفكير محدود نحو نوع المجتمع الذي نعيشه الآن فقط.

أما البعد الثالث على الباحث أن تكون له رؤية نقدية بحيث هنا على الخيال السوسيولوجي أن يتصدى ويبدد كما أطلق عليه غيدنز تمركز حول السلالة أو المركزية السلالية وهو مفهوم "الذي يتبنى وجهة نظر المجتمع أو الثقافة التي ينتمي إليها الباحث ويتخذه معيارا للحكم على باقي المجتمعات والثقافات." ويقصد بها كذلك بأنها: "عملية فهم أفكار أو ممارسات أبناء ثقافة أخرى في ضوء أفكار وممارسة الثقافة الخاصة التي ينتمي إليها الشخص. ومن هنا تخفق الأحكام المتمركزة سلاليا في فهم وتقدير مميزات الثقافات الأخرى. أما الشخص المتمركز سلاليا فهو ذلك الفرد الذي يعجز، أو لا يرغب، في فهم الثقافات الأخرى في ضوء معاييرها وعلى أسسها هي." فهذا البعد يأتي نتيجة بعد مرور الباحث على البعد الأول والبعد الثاني للخيال السوسيولوجي. ويعتبر غيدنر أن هذا البعد يتصل بآفاق المستقبل؛ وهو بذلك قد نقد فكرة أو مفهوم المماثلة العضوية أو أن علم الاجتماع يماثل الطبيعة، وعلى حتمية أو اخضاع المجتمع للقوانين دائمة ولا تتغير اذ يذهب إلى اعتبار أن الباحث يكون بدراية ووعي نحو المستقبلات البديلة المتاحة له، إذن الخيال السوسيولوجي بهذه الطريقة ينصهر كلية مع مهمة علم الاجتماع من حيث الاسهام الذي يقدمه من خلال نقده للأشكال الاجتماعية القائمة وأن هذا النقد يشترط عملية التحليل.

ثالثا/تنمية الخيال السوسيولوجي:

نوضح فيما يلي كيفية تنمية الخيال السوسيولوجي بطرق عديدة مختلفة منها توضيح النظرية في الواقع، والبحث الإجرائي، والحديث وتسليط الضوء على السياسة الاجتماعية في شتى أرجاء العالم. وذلك استدلال على ما تم استقرائه الباحث مصطفى خلف عبد الجواد في أحد مؤلفاته وهي على النحو الآتي:

1-النظرية في الواقع: تساعد المنظورات الرئيسية الثلاثة (الوظيفية، والصراعية، والتفاعلية) في علم الاجتماع في فهم قضايا الساعة سواء أكانت ظاهرة العنف أو المخدرات وغيرها من الموضوعات التي يهتم بها علم الاجتماع، ولا يتحتم على الباحث السوسيولوجي أن يصرح علانية بتبنيه نظرية معينة بحيث جل النظريات تسقط حول الموضوع أو الظاهرة المدروسة إلا أن الباحث يعتمد على هذه المنظورات من جهة أنها أطر مرجعية.

إذن فعلى الباحث السوسيولوجي يكون أدرى بهاته المنظورات الكبرى وتكون مهضومة ومبسوطة بشكل الذي يفهمه ويستنبط مفاهيمها المحورية وتحليلاتها لمختلف المواضيع؛ وذلك ليسهل عليه كيفية أن يقارب أو يسقط أو أن يختار نظرية معينة تناسب موضوعه وذلك سنبين هاته النظريات في جدول أدناه:

جدول يمثل الأطر النظرية الرئيسية والكبرى في علم الاجتماع

أوجه المقارنة	المنظور الوظيفي	منظور الصراع	منظور التفاعل
رؤيته للمجتمع	الاستقرار والتكامل	يتميز بالتوتر والصراع	إيجابي في تأثيره على التفاعل الاجتماعي اليومي
مستوى التحليل	الوحدات الكبرى ماكروسوسيولوجي	الوحدات الكبرى ماكروسوسيولوجي	الوحدات الصغرى ميكروسوسيولوجي
رؤيته للفرد	يتم تنشئة الناس لانجاز الوظائف المجتمعية	يتشكل الناس بواسطة القوة والقسر والسلطة	يستخدم الناس الرموز ويخلقون عالمهم الاجتماعي من خلال التفاعل

رؤيته للنظام الاجتماعي	التعاون والاجماع وسيلة للحفاظ عليه	القوة والقسر وسيلة للحفاظ عليه	الفهم المشترك اليومي وسيلة للحفاظ عليه
رؤيته للتغير الاجتماعي	ينبغي تعزيزه وتأكيده	حتمية ودائمية التغير، قد ينجر عنه تأثيرات إيجابية	ينعكس التغير في الأوضاع الاجتماعية للناس واتصالاتهم مع الآخرين
روادها	-إميل دوركايم -تالكوت بارسونز -روبرت ميرتون	-كارل ماركس -دوبوا -رايت ميلز	-جورج هربت ميد -شارلز هورتون كولي -ارفنج فوغمان

2-البحث الميداني: على الباحث في علم الاجتماع أن يدرس الظاهرة الاجتماعية أو السلوك الاجتماعي بأنها ظاهرة شمولية ترتبط بجملة من المتغيرات والظواهر.

3-السياسة الاجتماعية في شتى أرجاء العالم

من بين أهم الأساليب البحثية المهمة باستخدام الخيال السوسيولوجي هي تعزيز فهمنا للقضايا الاجتماعية الراهنة في العالم مثل الدعم الحكومي لمراكز رعاية الطفل، والتحرش الجنسي ...إلخ. وهذه المجالات للسياسة الاجتماعية توضح لنا كيف أن المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع يمكن أن تدعم مهارات التفكير النقدي عندنا، وتساعد في أن نفهم على نحو أفضل الجدل الدائر في أنحاء العالم حول السياسة العامة الحالية. يضاف إلى ذلك أن علم الاجتماع يستخدم في تقييم نجاح البرامج أو تأثير التغيرات التي تحدث نتيجة السياسة العامة والعمل السياسي. وهذا يؤكد التطبيقات العملية العديدة للنظرية والبحث في علم الاجتماع.

العناصر الأساسية للخيال السوسيولوجي:

أسلوب الخيال السوسيولوجي يشترط توفره على عنصرين أساسين وهما:

- الوعي بالعلاقة بين الفرد والمجتمع الأكبر.
- قدرة عالم الاجتماع على النظر إلى مجتمعه نظرة الدخيل عليه أو الغريب عنه، وليس من منظور خبراته الشخصية المحدودة ونزعاته الثقافية.

خاتمة

وخلاصة القول يمكننا أن نستخلص أن أسلوب الخيال السوسيولوجي هي الطريقة المثلى وأكثر دقة لاتخاذها أسلوبا في بناء الإشكالية وذلك مما تحققه للباحث القدرة على تجاوز ذلك اللبس والغموض الذي يغطي الظاهرة أو الموضوع المدروس وأكثر حرية أو كما يعرف عند رايت ميلز بمفهوم الوعي الزائف وعند أنتوني غيدنز بالمركزية السلالية، بحيث تجعل الباحث أن يفسر علاقات ومفاهيم معينة ترجع أصلها إلى تلك العلاقة بين الفرد والمجتمع. فتتمثل هذه الطريقة بأنها مهارة عقلية وحرفة وذكاء سوسيولوجي في نفس الوقت؛ على الباحث أن يكتسبها ويتعلمها لأنها تمكن له أن يكتشف أفكار جديدة وحتى أن يصوغ نظرية جديدة .

قائمة المراجع والمصادر

1. أحمد زايد، علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية، دار الكتب المصرية، مصر، 1984.
2. أنتوني جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، تر: أحمد زايد وآخرون، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ط 2، 2006.
3. أنول باتشيرجي، بحوث العلوم الاجتماعية "المبادئ والمناهج والممارسات"، تر: خالد بن ناصر آل حيان، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، ط 2، 2015.
4. جون سكوت، خمسون عالما اجتماعيا أساسيا المنظّرون المعاصرون، تر: محمود محمد حلمي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2009.
5. ديرك لايدر، قضايا التنظير في البحث الاجتماعي، تر: عدلي السمري، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، د ط، 2000.
6. رث والاس، وألسون وولف، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، تر: محمد عبد الكريم الحوراني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010.
7. سيرج بوغام، ممارسة علم الاجتماع، تر: منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2012.
8. عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة)، الكويت، د ط، 1981.
9. عبد الغني عماد، البحث الاجتماعي "منهجيته مراحله تقنياته"، منشورات جزوس برس، لبنان، ط 1، 2002.

10. عصمت تحسين عبد الكريم، علم الاجتماع المعاصر، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2015.
11. علي عبد الرزاق جلبي، المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د ط، د س.
12. غريب عبد السميع غريب، علم الاجتماع مفهومات–موضوعات–دراسات، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ط، 2009.
13. محمد عبيدات، محمد أبو نصار، وعقلة مبيضين، منهجية البحث العلمي "القواعد والمراحل والتطبيقات"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط 2، 1999.
14. محمود أبو زيد، أعلام الفكر الاجتماعي والأنثربولوجي الغربي المعاصر، الجزء الثاني (2)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007.
15. مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002.